العد التنازلي للكارثة
إنفجارات مستودع الذخيرة في مبيلا

بتاريخ ٤ آذار ٢٠١٢، دمرت سلسلة من الانفجارات عدة ثكنات عسكرية في منطقة مبيلا في برازافيل، جمهورية الكونغو. وقد دمرت الانفجارات منطقتين مأهولتين بالسكان في العاصمة، وأودت بحياة المئات وإصابة الآلاف وتشريد أكثر من ١٠٠,٠٠٠ شخص.

تم تجاهل عدد من العلامات التحذيرية أو لم يتم الإعتراف بها ببساطة.

وتقدم انفجارات مبيلا مثالا مأساويا يبين كيف يمكن للإدارة غير المناسبة لمخزونات للذخيرة أن تؤثر بصورة كبيرة على السكان المحليين والاقتصاد. وقد بادر المجتمع الدولي على جناح السرعة لتقديم تمويل طارئ لا يستهان به وتنسيق أنشطة التخلص من الذخيرة المتفجرة والإغاثة الإنسانية مع المنظمات غير الحكومية. وحظي الحدث نظراً لضخامته ونتائجه المباشرة بتغطية إعلامية كبيرة وحفز الجهود لمعالجة المشكلة الكامنة وراء سوء إدارة المخزونات. ومنذ ذلك الحين، واصلت الأولويات الوطنية والجهات المانحة الدولية عملها، إلا أن الأسباب الجذرية للانفجارات ما زالت لم تعالج بشكل صحيح، ولم يتم معالجة عواقبها الاجتماعية والاقتصادية واسعة النطاق بشكل كامل.

كان للانفجارات آثار اقتصادية كلية عبر انحاء البلاد.

يكمل هذا الفصل نتائج تقييم جرى بتكليف من الاتحاد الأوروبي لمدى فعالية أنشطة ما بعد الإنفجارات والتوعية بمخاطرها في منطقة مبيلا وما حولها. ويبني الفصل على تقرير التقييم للاتحاد الأوروبي المنشور في آذار ٢٠١٣، ولكنه يوسع نطاق التركيز ليشمل:
(أ) ممارسات شراء الذخيرة وتخزينها التي أدت إلى الانفجارات على المدى الطويل (ب) الآثار المباشرة وغير المباشرة للانفجارات على سكان المدينة والموارد المالية للبلاد وسياسة الحكومة.

سحابة من الدخان يمكن رؤيتها عبر النهر تتصاعد فوق موقع الانفجارات في مستودع الذخيرة في مبيلا، برازافيل، ٤ آذار ٢٠١٢، كينشاسا، جمهورية الكونغو الديمقراطية. © مارك هوفر/ أي اف بي فوتو.

ومن بين النتائج الرئيسية للفصل ما يلي:

- في غضون دقائق قليلة، أودت الانفجارات بحياة ٣٠٠ شخص على الأقل، وأصيب أكثر من ٢٥٠٠ شخص، وخلفت أكثر من ١٢١,٠٠٠ شخص بدون مأوى. وعدد القتلى على الأرجح يتجاوز بكثير ٣٠٠ شخص كون وزارة الدفاع لم تعلن رسميا عن عدد وفيات العسكريين.
- وفقا للتقنيين المتخصصين بالذخيرة والذين لهم خبره بالتخلص من الذخائر المتفجرة فإن السبب الاساسي لانفجارات مستودع الذخيرة في مبيلا كان الإدارة غير المناسبة لمخزونات الذخيرة.
- كمية الذخيرة المخزنة أصلا في المستودعات قبل الانفجارات غير معروفة، ولكن قامت فرق التخلص من الذخائر المتفجرة بتدمير أكثر من ٢٠٠ طن من الذخائر التي لم تنفجر، والتي تمثل أكثر من ٣٩ طنا من صاف محتوى المواد المتفجرة، خلال جهود التطهير اللاحقة بين آذار ٢٠١٢ ونيسان ٢٠١٣.
- تضمنت أنواع الذخيرة التي تعرضت للتدمير ولم تكن حديثة الصنع مزيجاً من الالعاب النارية وذخائر الأسلحة الصغيرة وقنابل يدوية وألغام أرضية وقذائف من العيار الكبير وصواريخ وقذائف وقنابل طائرات مخزنة بشكل عشوائي في مستودعات الذخيرة في مبيلا في أواخر السبيعنيات وفترة الثمانينيات خلال فترة النزاعات الداخلية في جمهورية الكونغو، وفي تسعينيات القرن الماضي، وخلال برامج نزع السلاح والتسريح وإعادة الإدماج اللاحقة.
- التوسع غير المنظم للسكان المدنيين حول منطقة لتخزين المتفجرات تحتوي على مثل هذه الأنواع والكميات من الذخيرة من شأنه أن يعرض حياة الناس لخطر كبير في حالة وقوع انفجار.
- التأثير الكلي للانفجارات جرى تقديره بصورة جزئية- معظمه من حيث التأثير المادي المباشر على القطاع الخاص- بنحو أكثر من ٣٣٦ مليار فرنك وسط افريقي (٦٧٢ مليون دولار أمريكي). وكانت الآثار الاقتصادية الأوسع كبيرة وطويلة الأمد، مع تداعيات على الاقتصاد الكلي في جميع أنحاء البلاد.
- هذه المأساة كان يمكن تفاديها. فقبل الانفجار، تجاهل مجتمع المانحين الدوليين عدد من العلامات التحذيرية، أو لم تدركها ببساطة القوات المسلحة الكونغولية بسبب افتقارها إلى الخبرة في إدارة المخزونات.
- في وقت كتابة هذا التقرير، كان التقدم في ممارسات إدارة المخزونات بعد الانفجار بطيئاً، مما يدل على عدم وجود عمليات شراء من السلطات الكونغولية، فضلا عن إعياء المانحين والحذر من الرعاة المحتملين.

خريطة ٢,٥ انفجارات مستودع الذخيرة في مابيلا

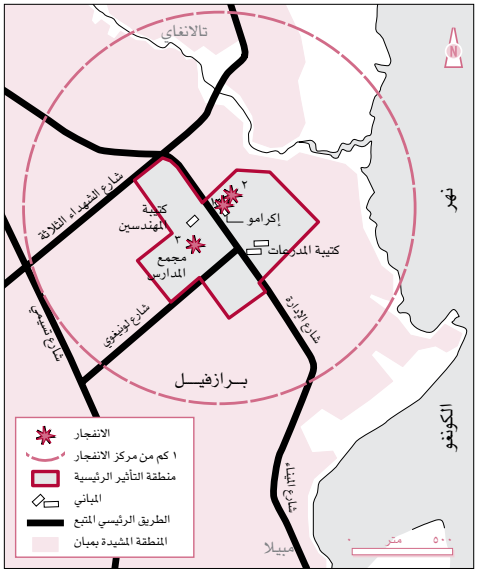

© أوبن ستريت ماب (رخصة قاعدة بيانات مفتوحة)

وقد استخدم البحث مجموعة واسعة من الوثائق التي تم الحصول عليها في الغالب داخليا أثناء التقييم الأولي الممول من الاتحاد الأوروبي، بما في ذلك تقارير القوات المسلحة الكونغولية والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية، ومركز التنسيق للتخلص من الذخائر المتفجرة. وأستكمل المسح هذه المصادر بما يلي: (أ) مقابلات متابعة مع مجموعة واسعة من الجهات الفاعلة في الميدان (ب) أوراق معلومات أساسية للخبراء (ج) بيانات من قاعدة إحصاءات تجارة السلع الأساسية للأمم المتحدة (د) بحوث مسحية، بما في ذلك الانفجارات غير المخطط لها في مواقع الذخائر (ه) مصادر مفتوحة أخرى وتقارير وسائل الاعلام. كما قدم المسح أكثر من ١٧٠٠ صورة للذخائر لأحد خبراء التخلص من الذخائر المتفجرة لتحديد أنواعها.

ويبدأ هذا الفصل من خلال استرجاع الماضي. ويقود وصف التسلسل الزمني-والأسباب الرئيسية- لانفجارات مستودع الذخيرة في مبيلا إلى مناقشة حول أنواع وكميات الذخيرة التي كان يحويها المستودع قبل الانفجار، فضلا عن المنشأ المحتمل لها. ويفصل القسم الثاني تأثير الانفجارات على السكان المحليين والبنية التحتية والموارد المالية الحكومية، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية في البلاد. ويبرز القسم الثالث والأخير الفرص التي كانت أمام جمهورية الكونغو لتجنب الانفجار، والالتزامات متعددة الأطراف في البلاد لإدارة المخزونات، والآفاق المستقبلية.